

الشنجيطي

يبتغون الحظوة لديهم ونيل الصلة منهم ويصفون في
اشعارهم ما تحملوه من البعد عن الاهل والاحباب وما فعل
بقلوبهم الشوق والحنين وألم الهجرة وترك الديار فاذا
شكوا فتلك هي العاطفة الغلابة يفيض بها القلب ويترجم
عنها الشعر ، وإذا حنوا فعن وجدان لا مبالغة فيه ولا
كذب ، وقد بقيت هذه العادة جارية في كل عصر ومتغلبة
على شعرائنا فلا تفتح ديواناً قديماً الا وتجد كل قصيدة قد
أخذ منها النسيب شطراً كبيراً ، وهذا ما حدا بأبي الطيب
المتنبي المتمرد أن يثور على هذه العادة ويخالف المهود في
قصيدة له يمدح بها سيف الدولة حيث يقول :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم
أكل فصيح قال شعراً متيم ؟

لقد صدق والله فكل شاعر يتتيم حتى لم ندر الصادق منهم
من الكاذب وفقدنا كل ثقة في هذا الضرب وأنكرنا
كل ما صدر عنهم في هذا الباب ، حتى شاعرنا المثقف
وهو ابن القرن العشرين لا يتورع أن يقول في مطلع قصيدته :

آه له من عميد طلما صبرا
جمر الغضا في حشاه يرتمي شررا
إذا تألق برق من بشائره
جاءت زعازعه تزجي له كدرا

وفي بقية أبيات نسيبه لا يزال يحن ويئن ومضى يشكو
التصبر حتى كاد يقتله ، فاسألوا عنه النجوم والليل وأسألوا
المهللين والسحر فان كبده انشقت وانفطرت وكادت
تذوب وأين ينتهي من مر الشكوى وحرّ اللوعة يتخلص
بييت لا صلة له مع ما قبله ولا يمت اليه بسبب وهناك
تقف بك الكلفة الواضحة متأملاً في الخاط والخبط كيف
يكونان !

وما موجب التشبيب ؟ أليس سوى عقم الفكر

قال لي صديق أديب - وقف على بعض ما كتبت - :
وما ذا عساك تقول في الشاعر الشنجيطي وهو ممن جمع
بين اللغتين العربية والافرنسية وتثقف في الديار الشرقية
وتوفر على اللغة العربية بجميع ما فيها من أسرار وله من
الاطلاع حظٌ كبير يعرفه من قرأ نظمه ونثره وسمع دروسه
في الرباط يوم كان يمرّ السعادة ؟ وهذا حق لا ينكره
الا جاحد وربما كنت أحد من سمع الدروس وقرأ بعناية
تلك الفصول ، ولكن ما كل كاتب يسلم من العثرات
وليس كل شاعر معصوماً من الهفوات ، ونحن إذا
تجرأنا على شعرائنا وانتقدنا شيئاً فأنما يزيد الاصلاح ما
استطعنا وننكر عليهم موقف الجمود ، ومحاكاة القدماء
ومماشاة العصور الدائرة في كل شيء ، ألسنا نرى السيد
الشنجيطي في قصيدته العيدية المتأخرة يمدح بالنسيب
فأخذ من القصيدة ثلثها ليتخلص للموضوع المقصود وقد
نفر الناس من هذه العادة وسئموا متابعتها وصارت مبنوذة
لانها لا تقصح عن عاطفة صادقة ولا تترجم عن إحساس
شريف ، وفي الشرق اليوم ادباء يجاربون هذا الادب
المائع المخدر للاعصاب والقاتل للشعور ، ونحن أشدّ ما
نكون حاجة الى الشعر المؤثر في النفوس والحافز للهمم
الخالي من الكلفة والصناعة ، ومعلوم بالبداهة أن التمهيد
بالنسيب كان عادة شعراء العصر الجاهلي وقلدهم فيها من
تبعهم ولهم ما يكفي من العذر فقد كانوا يتجسمون وعناء
السفر ومشاق التنقل ويقطعون على ظهور الابل المفاوز
البعيدة والمسافات الشاسعة ويقصدون الملوك والامراء

ونضوب القرحة وعجزها عن الخلق والابتكار وإيجاد المعنى
الدقيق ؟ . أما ان كان صادقاً في تشبيهه فاني اتوجه له
وارثي لصبوته بعد التحسين او تزيد ، واعيده من الهيام
والشيب وخط لحيته والشيوخوخة اوشكت ان تاخذ منه
مأخذها وتفعل فيه فعلها كما شهد على نفسه بقوله وهو الصادق :

وقلت هذا الهوى المقوت ضيعني

أما الرجيم فلا تسأله كيف جرى

والنفس تاصرني واللهو يبطرني

والشيب ينذرني يارب انت ترى

لما احل برأسي قلت مزدرى

الشيب في الرأس لا يستلزم الكبرا

فانحط في عارضي يمشي الى ذقي

وان في اللحية الشمطاء لي ندرا

ونحن نهمس بتواضع في اذن شاعرنا اللغوي ان
الصواب في البيت الثالث « حل » فان احل معناها وجب
او خرج ولعلها سبق قلم لو يسمح بذلك الوزن البسيط ،
ولو قال ألم لا استقام له الوزن والمعنى .

وبعد فليس لدينا من شعر أديبنا الشنجيطي ما يكفي
عرضه امام القارئ لاخذ صورة عنه تفي بالغرض المقصود
سوى قصيدة في الهجو المقذع نستحي من عرضها ونشرها
وقد رجعنا الى كتاب الادب العربي في المغرب لنستفيد
منه حديثاً ونستقي منه قطعاً من الشعر فلم نجد له هناك
ذكراً ولا نعلم أحجم عن نشر شعره في الكتاب استكباراً
ام مواعده الجزء الثالث ، ومع هذا فقد عثرنا في مسامرة
زميله القباچ على قطعة في وصف مكناس لانرى مانعاً من
اتحاف القراء بها لنرى دقة وصفه وبراعة تصويره وهي :

لله ما أبهاك مكناس

ارض هي الارض بل ناس هم الناس

بها القصور وأسوار مشيدة
كالراسيات وأبراج وأقواس
تجسم الفخر في تلك المعائل والجل
لال والعزم والسلطان والباس
وماؤها السلسبيل العذب باكره
ريح هو المسك انفاس بانفاس

هكذا شاء ان يصف بلدة مكناس جمعت من المثار
التاريخية ما يحرك الفكر ، وفيها من بدائع الزخرفة
ومعجزات الفن ما يدعو الشاعر للقول ويوحى اليه من
دقة التصوير آيات ويفيض عليه من البيان والخيال معجزات
ولكنه لم يوفق ، ويظهر انه لم يقل شيئاً ولم يزد على ان
ارضها هي الارض وناسها هم الناس !! وفيها القصور
والاسوار كالراسيات وماؤها عذب كالسلسبيل !! وأي
شعر هذا مع الاقواء الظاهر في القافية الاخيرة ، وأي
وصف هو لو اردنا ان نقيسه بالوصف الشعري الذي
يعرفه حتى تلاميذ المدارس ويستظهِرونه من محفوظاتهم
ولا يزيد هذا ولا يفضل شعر صاحب هذا البيت :

الليل ليل والنهار نهار

والارض فيها الماء والاشجار

وان تعجب فعجب من الشاعر المطبوع يستحسن

تلك الابيات ويقدم على تشطيرها عن سخاء فيقول :

لله ما أبهاك مكناس

خصب ورخص واغراس واعراس

مكناس ما نظرت عيني نظيرتها

ارض هي الارض بل ناس هم الناس

بها القصور واسوار مشيدة

شتى وفيها من الاكياس اجناس

نابغة بفاس

إن الموسيقى ضرورية للانسان في كل زمان وفي كل مكان وهي وإن لم تكن بماسة الحاجة في جميع الاوقات كالضروريات الاخرى فانه لا يبد للانسان منها في بعض الاحيان ، على أن الضروريات الاخرى مثل الاكل والشرب انما نحتاج اليها في حالة واحدة هي حالة الجوع أو حالة العطش . أما الموسيقى فلا غنى للانسانية عنها في حالتها سلمها وحرها وفرحها وحزنها ودينها وهوها ، وليست الموسيقى مجرد فن فقط بل هي فن وفوق الفن لان سائر الفنون الاخرى تحتاج الى ثقافة ما خصوصية تهني صاحبها الى الاهتداء لمواضع الحسن وملاحم الجمال أما الاعجاب بالموسيقى والتأثر بها وحبها فذاك طبيعة في الانسان وغريزة من غرائر النفوس العميقة التي لا يمكن استئصالها ويبدو ذلك جلياً لمن يراقب حالات الاطفال حتى في ارباب الرضاع فانهم إذا سمعوا أي موسيقى هشوا وبشوا وتحركت أعضائهم من تأثير ما طرق سمعهم مندفعين الى ذلك بدهاءة من غير محاكاة ولا اقتداء بمن هو أكبر منهم سنًا ، وليس هذا التأثير وهذا الاعجاب بالموسيقى مقصورين على الانسان وحده بل يشترك فيها الانسان والحيوان كما ذلك معلوم عند جميع الناس بالمشاهدة أو السماع .

لا نغني بهذا أن كل نوع من أنواع الموسيقى يعجب سائر الناس على الاطلاق بل تختلف الاذواق باختلاف المدينيات والاقاليم والاجيال فتوجد أمم يبلغ بهم الرقي بحيث تكون لهم قابلية على تذوق كثير من أنواع الموسيقى كما توجد أيضاً أمم متوحشة يعينها ابن الرومي بقوله :

وبين ساحتها الأثار ثابتة
كالراسيات وابراج واقواس
تجسم الفخر في تلك المعائل والـ

جميل للفخر قلب والندا رأس
والمجد فيها مقيم والمهابة والـ
جلال والعزم والسلطان والباس
وماؤها السلسبيل العذب باكره
ريح الصبا وهواه الخمر والكاس
ما مر منها امرء الا ومر به
ريح هو المسك انفاس بانفاس

حقا انه لوصف سطحي وذوق الشعراء واحد والصلة بينهما معروفة كونها البيئة والوسط ووحدة الاتجاه في الشعرية والتفكير ، وايات شاعرنا الشنجيطي كاطلال خربة متهدمة فجاء التشطير كترميم لها ولكن الترميم لم يكن سوى حجارة وطوب واكداس من التراب فهي كما يقول الشاعر خلو من الجمال براء او ان شئت سمها بالمثل الدارج المشهور خبز وزيتون ومغفرة .

ونحن قبل ان نودع الشاعر لتناول غيره وهم كثير نصح له ان يراعي ذوق العصر ويحرص على سمعة المغرب الادبية من أن يقرأ ادباء مختلف الجهات مثل هذا الضرب من شعر الهذيان والحشو ، وقبل ان يخرج قصيدته للطبع والنشر يجب ان يذكر ما ستحدثه في الاجواء الادبية ويكون لها من اثر ، والشعر بمثابة شاهد على ما وصل اليه القطر من رقي وتهذيب او عبث وسخف ، ونحن نبرأ الى الله من العبث ونعيد الشعر والشعراء من الفهاهة والهذيان ولنغو القول .

(ابن عباد)